وذات يوم أرسل الحمار لجحا خطاباً يطلب فيه قبول استقالته من وظيفة المستشار الخاص بجحا، مبرراً ذلك بعدة أسباب، أولها أنه ضاق من أفعال الناس المحيطين به، فرضي أن يعتزلهم، وثانيها أن معظم مآربه وتوصياته لا تتحقق بحجة أن المسئولين لا يفهمونها، وثالثها تمادي الحمقى من البشر في السخرية منه والتهكم عليه. ثم ذيل خطابه بأن الأمر الوحيد الذي يجعله العودة في هذه الاستقالة هو عقد مؤتمراً كبيراً من ذوي المكانة والمقام في شتى المعارف للإشادة بمناقبه والاعتراف بفضله و إحصاء مكارمه في سائر الحضارات. وأخيراً حفظ وصيته في مكان أمين لقراءتها بعد وفاته والعمل بكل ما جاء فيها. ولما كان جحا أحرص الناس على وجود الحمار بجانبه استقبل وصيته بصدر رحب، وأخذ من فوره يعد خطابات الدعوة لإرسالها إلى المؤرخين ورجال الدين والأدباء والشعراء والفلاسفة والساسة بعقد حفلاً كبيراً على شرف حماره المفترى عليه؛ وذلك لاسترضائه والتعبير له عن تقديرهم لأعماله واحترامهم لمواقفه، وامتنانهم لحسن أخلاقه وطباعه.

وسوف نواليكم بالأحداث خلال الشهر الكريم، وذلك في حكايتنا المسموعة ذات القوافي المصنوعة.

□□□

نص دعوة جحا

أمسك جحا بقلمه وراح يخط صيغة دعوة الندوة التي اعتزم إقامتها لذكر مناقب الحمار:

جحا: إلى قادة الفكر والسياسة والأدب والدين والسير، اجمعوا من

فضلكم كل ما قُرأ وما كُتب عن أبي صابر؛ أعني الحمار الذي طالما وصفتموه بما ليس فيه، وشنعتم عليه ووجهتم إليه مئات التهم وهذا بالطبع لا يرضيه، والآن هو يهدد بالانقطاع عن الحياة واعتزال الناس وضيعهم وشريفهم، وعلماءهم وأدباءهم، الأمر الذي لا نحتمل عقباه، فهل يليق منكم وصف المتعالمين والموظفين الروتينيين، والسفلة من الكتاب والصحفيين، والجامدين من أرباب الجماعات، والمتشدقين بالشعارات، من الأحلاف والهيئات والائتلافات، والأغبياء من الحرفيين، والمهملين دروسهم من طلاب المدارس والمعاهد والجامعات، والمثرثرين ومرددي الأكاذيب والإشاعات، وغير ذلك كثير من اللذين أسميتموهم حمير، فهذا اللغو والخلط يأبه العقل ويرفضه الضمير، فهل تستوي العقول المظلمة والنفوس الجاحدة من بني البشر لسمات الحمار وخصاله وعقله المستنير.

وهل هذا يليق؟! أين الفطنة والتدقيق؟! وهل يعامل الطيب الوديع المسالم الرقيق، معاملة الأسافل والمنحطين من الحمقى والبلهاء والمأفونين؟! والله هذا الأمر لا يليق. ألم يخلقه الله لحمل الأثقال، دون تذمر أو كلل أو ملل وعفاه من محنة الاختيار، ونقد الأفكار، ليكون مثالاً للطاعة، فسخرتم منه وذكرتموه في أدبياتكم بالبلادة والنطاعة.

ألم يفطن إلى ما لا تستطيعون رؤيته وإدراكه، فهو يرى الشيطان والجن، ولا ينصت للوسوسة، ولا تغريه المهيصة، ويسمع ما لا يقدر غيره على سمعه، ولا يأخذ بالوشاية ولا يغضب ولا يغدر، ولا يشرب الخمر، ولا ينسج الأكاذيب، ولا يخفي صورته بالقناع والعباية، ولا يفشي الأسرار، ولا يثير الفتن بين الأفراد والأقطار، ويفضل التبن على التبر تقشفاً، ويرغب

عـن التبغ والمخـدرات وكل ما يغضب الله تزلفاً، وهـو العاقل قوي الذاكرة الـذي لا ينسى المعروف، والمحافظ على ميثاق الوفـاء بالفطرة دون المواثيق التي تكتب بحروف، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ويسـوقه إلى هلاكه، خجول بطبعه وقليل الشـكوى من ولادته إلى مماته. ألم يكـن مطية الأنبياء، وزينة للوجهـاء والفضـلاء، ألم يكن مُلهماً للشـعراء، وبطل طرائـف الأدباء، ألم يذكر ضمن الفلاسـفة، وتحفل باسمه الآيات المقدسـة والوصايا المؤلفة، ألم تسـمى باسـمه الأحزاب واشـتقت منه أعرق الحضارات، وانتحلت اسـمه العديـد مـن الثقافات، وربطـت بين نـوادره والضحك والسـخرية ومئات النقدات، في آلاف المقالات، في بلاد الشرق وديار الخواجات.

أيهـا السـادة إن لصاحبـي الحـمار دلـو في المجد كبـير وله في الشـهامة والكرامـة باع، وهو من أقدم الدواب خلقاً، وأعظمهم خُلقاً، وفى الفصاحة له ألف ذراع، وأنصحكم تلبية دعوتي حتى لا تصابوا بعذابات الندم لفراقه، بالإضافة إلى قدحي لكم ولعنتي لتقاعسـكم عـن نصرته، وأرجوكم الالتزام بالحضور، ومن ضاق وقته فليرسـل كتابه وسوف أستقبله عن طريق الفيس أو التويتر وباختصار عن طريق النت وسوف أكون له مسرور.

وفور انتهاء جحا من كتابة الرسـالة تلقى كثير من التعليقات، وعشرات الموافقـات، فمن رجال الدين أرسـل أحبار اليهود، وكبير قساوسـة كنيسـة داوود، والراغب بن جدعان، ممثل اتحاد علماء السنة والقرآن، ومن الباحثين في الأدب، قبـل دعـوة المهتمـين بكتابـات الجاحـظ وابن المقفـع ومن كان على شـاكلتهما من اللذين أحبـوا الحمار وضمنوه في كتبهـم على نحو أروع مـن عجـم وعرب. ومن الساسـة وافق أوباما من الأمريـكان، وكذا بعض رجالات الأحزاب من الأسـبان، ونفر من العراق وكردستان، ومن الفلاسفة

تلاميذ زينون، وشراح أرسطو وأفلاطون، ومن أشهر الشعراء اللذين لبوا الدعوة بشار بن بُرد والشاعر الأسباني خوان رامون، ومن الأدباء المحدثين توفيق الحكيم، ونفر غير قليل نيابة عن الفلاحين والجزارين والحدوية والعربجية.

وخلاصة الكلام، هتبقى حفلة في غاية التنظيم والكلمات على ما أظن سوف تأتي قمة في الاحترام، وسنحذف منها ما لا يصح فيه الكلام. وسنوافيكم بالتفاصيل المنجمة، خلال ليالي رمضان المكرمة.

□□□

كلمات الوفود

تسلم جحا عشرات الموافقات على حضور حفل تقريظ صديقه (أبو صابر الحمار) فهيأ المكان لاستقبال الوفود، وأعد منصة تحمل ثلاثة قعود، أولها لعالم لغويات لتوضيح المعاني وشرح المصطلحات، وثانيها لخبير بالسير والتاريخ للتحقق من الوقائع وسلامة الوثائق والمستندات، وثالثها لفيلسوف، لتأصيل المفاهيم وتقييم النظريات ووضع النقط على الحروف، ذلك بالإضافة إلى منصة أخرى لإلقاء كلمات الوفود، والتعليقات والاعتراضات والنقود. وقد اتفق الحضور على ترتيب الكلمات، تبعاً لمعيار الأهمية وثقافة الجمهور (الدين، الفلسفة، السياسة، الأدب) ثم التعليقات، كما أكدوا على عدم مخالفة أحد للدور.

وأولى الكلمات كانت لأحد حاخامات اليهود ويدعى دنيال باروخ، وقد اشتهر بالكبر وإحساسه دون الحضور برفعة المرتبة والشموخ.